

المهارات المعلوماتية الجديدة في خدمة التحول الوظيفي لأخصائي المعلومات العربي من أجل رسم الطريق نحو المستقبل

The new informational competences in service of the functional transformation of the arab information specialist to shape the path for the future

آمنة المداني

المعهد العالي للتوثيق،

جامعة منوبة - منوبة - تونس

تاريخ إرسال المقال: 2019 /05 /05 تاريخ القبول: 2019 /11 /25 تاريخ النشر: 2020 /07 /15

ملخص

لم تحدث ثورة المعلومات والاتصالات تغيرا في شكل التواصل وكثافته وسرعته فحسب، وإنما أفرزت علاقات تفاوت وهيمنة جديدة تتغذى من قدرة الفاعلين والمؤسسات والدول على إنتاج المعلومة وامتلاكها والتصرف فيها.

ولهذا فقد أصبح التفكير في دور المكتبات في نشر المعلوماتية من قبيل المعالجة الاشكالية التي فرضتها علاقات التفاوت في اكتساب التقنيات الحديثة، بما يمكن التعبير عنه بالفجوة المعرفية، حيث أن آليات احتراف صفة مختص المعلومات قد تجاوزت اليوم الأنماط التقليدية، وأصبحت مرتبطة بشكل مباشر بتقنيات التواصل الافتراضي التي أدجت أغلب المجتمعات فيما يمكن التعبير عنه بمجتمع المعرفة.

لذلك يبدو أن الرهان الحضاري اليوم والذي يطرح نفسه أكثر من ذي قبل على مكتباتنا بالمجتمع العربي، هو كيف السبيل لإنتاج ونشر بيئة معلوماتية ووعي معلوماتي، من شأنه أن يدفعنا للانخراط في مجتمع المعرفة بشكل يوفر أكثر قدر ممكن من إمكانيات حفظ المعلومة وإتاحتها. وهذا الرهان يتطلب تحديث نمط ممارسة مهنة أخصائي المعلومات، وإدراك جودة التكوين في مجال المكتبات.

لكن يبدو أن واقع المكتبات اليوم يؤكد هذا الوضع الاشكالي للمهنة، حيث أن الآمال والأهداف المتفائلة لتطوير القطاع، غالبا ما يصطدم بوجود بيئة بسيطة وفقيرة لتفعيل هذه الخيارات. ولعل هذه المفارقة قد

تدفعنا للتساؤل عن مدى إمكانياتنا لتفعيل منظومة ترقى بمجال المكتبات والمعلومات وتطوير دور أخصائي المعلومات، من أجل بلوغ مستوى ما أطلق عليه اليوم بمجتمع المعرفة؟

للبحث في هذه الإشكالية سوف نقدم عملاً تحليلياً، نتناول فيه بالتوضيح، دور المكتبات ودور أخصائي المعلومة في تعميم وعي معلوماتي وآلياته في ذلك، كاشفين عن الرابط الخفي بين الوعي المعلوماتي ومهنة أخصائي المعلومات في علاقتهما برسم الطريق نحو مجتمع المعرفة، لاعتبار أنّ ذلك من الاستراتيجيات التي لا حياد عنها إذا ما رغبتنا في تسجيل حضورنا كفاعلين في مجتمع المعرفة.

الكلمات المفتاحية: أخصائي المعلومات - المكتبات - علوم المعلومات - مجتمع المعرفة - التقنيات الحديثة للمعلومات

Abstract:

The informational and communicational revolution does not affect only the form, density and speed of communication but also produces a new types of relations based on dominance and inequality. In fact, the more countries, companies and specialists own competences to produce and exploit information technologies, the more they dominate. Accordingly, thinking of providing libraries with new information technologies is becoming one of the important issues that should be dealt with. However, the inequality in the acquisition of technologies creates what is called the information technology gap. Moreover, the criteria to become professional information specialist has exceeded traditional conditions, and became directly linked to the virtual communication techniques that have incorporated most of the societies in what is called the "knowledge society".

Therefore, it seems that the cultural bet today for our libraries in the Arab society, is how to produce and develop an information environment and awareness, which will push us to take part in the knowledge society in a way that provides the greatest possibilities of information preservation and availability. However, it seems that the real situation of libraries today confirms that this profession faces real problems, as the optimistic hopes and goals for the development of the sector, often stick with a modest and poor environment to activate these options.

Perhaps, this paradox may push us to wonder about the extent to which we can develop strategies that help libraries, information and information specialist to achieve the level of what is now called the knowledge society?

Accordingly, we will provide analytical work, to deal with this issue, in which we will clarify the role of libraries and the role of the information specialist in disseminating information awareness and mechanisms and we will try to reveal the hidden link between information awareness and the profession of information specialists in their work towards the knowledge society. These are the incredible ways if we want to be present as actors in the knowledge society.

Keywords: Information specialist, libraries, information science, knowledge society, modern technologies of information.

مقدمة

لا نستطيع اليوم أن نستثنى المكتبات ومراكز المعلومات عن جملة التحولات التي تشهدها المجتمعات من أجل إيجاد موقع لها في مجتمع المعرفة ضمن نسق تنافسي فيما بينها، حيث تعتبر المكتبات من بين أهم المؤسسات المساهمة في تأطير وتوجيه وحفظ ما ينتجه المجتمع من معارف. وحتى تحافظ على موقعها، عليها ضمان استمرار تطورها في بيئة معلوماتية رقمية، مما يستوجب إلمام الأفراد بمهارات استغلال تكنولوجيا الاتصالات لا من أجل الوصول إلى المعلومة فقط وإنما أيضا إنتاجها، وهو ما يستلزم تنمية مهارات البحث على شبكات الواب، مثلما يتطلب امتلاك مهارات تفسير وتقييم المعلومات، ومن هذا المنطلق نقول إنه بتطور المعلومات عبر المسافات، تتطور معه أساليب وممارسات أخصائي المعلومات.

لهذا، يبدو أن الحاجة الملحة اليوم للتطوير والتأهيل المهني، من أجل التواجد في عصر المعرفة ومواكبة التغيرات في استخدام الوسائط التقنية الحديثة في المكتبات، يتطلب إعداد أطر استراتيجية للعمل في مكتبة المستقبل، وإعادة تدريب العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات ومنح التسهيلات للعاملين فيها لمساعدتهم على تطوير أنفسهم من خلال البرامج التدريبية، لمواكبة التجديد التكنولوجي، باعتبار أن مهنة المكتبات من المهن التي تتسم بطابع حداثي ذو نسق متطور، ولما تمثله التقنيات الحديثة كذلك من تأثير على نوعية الخدمة وعلى إدارة نظم المعلومات، خاصة وأن المجتمعات العربية مازالت تعيش مرحلة المراجعة والبناء، ومازالت تعاني من اتساع ما يعبر عنه بالفجوة الرقمية والمعلوماتية.

من أجل ذلك سنعمل من خلا هذه الدراسة على مزيد من إلقاء الضوء على قطاع المكتبات ومهنة أخصائي المعلومات، وعليه يتمحور سؤالنا أساسا حول الإطار البشري المختص وحدود توظيف امكانياته بما يتوافق مع الأهداف المرسومة له خاصة في مستوى توفير الخدمات ذات الجودة العالية، لأنه كلما حصل تناغما وظيفيا بين المكتسبات المعرفية السليمة لمستعملي تقنيات التواصل الافتراضي، كلما اقترب المجتمع من الانخراط الفعلي في مجتمع المعرفة. ولعل هذه المبررات قد تمنحنا شرعية التفكير اشكاليا في العلاقة الممكنة بين امكانية الانخراط في مجتمع المعرفة، وبين ضرورة تطوير قدرات أخصائي المعلومات وتكييف امكانياته مع المنظومات المعلوماتية الحديثة.

ومن أجل البحث في هذه الاشكالية العامة رأينا من الوجهة المنهجية أن نفككها الى مجموعة من الأسئلة الفرعية عسانا نقف عند منعرجات البحث بشكل دقيق ومنظم، حيث حصرنا أسئلتنا منهجيا كالآتي:

- ما المقصود بأخصائي المعلومات؟ وأي معنى للبيئة المعلوماتية وما علاقتها بمجتمع المعرفة؟
- ماهي دواعي التفكير اليوم في مسألة أخصائي المعلومات اليوم؟
- ما المقصود بالفجوة المعلوماتية؟ وما السبيل لتجاوزها؟
- ماهي الرهانات التي تواجه أخصائي المعلومات؟
- سنعمل من خلال البحث في هذه الدراسة على بلوغ الأهداف التالية:
- توضيح مفهوم المكتبة وأهمية الاستثمار في تقنية المعلومات.
- الوقوف عند مستويات تأثير تكنولوجيا المعلومات على البيئة المعلوماتية.
- الكشف على واقع الاستخدام الفعلي لتكنولوجيا المعلومات في المكتبات، والصعوبات التي تواجه أخصائي المعلومات قصد الاستدلال على أن استعمال تكنولوجيا المعلومات لا يعني بالضرورة الانخراط في مجتمع المعرفة.
- ابراز مختلف الصعوبات والمعوقات التي تحول دون تحويل المجتمع العربي من مجتمع استهلاكي الى مجتمع منتج للمعرفة.

I. أخصائي المعلومات: النشأة والتطور في المفهوم والأداء

ارتبط مفهوم اخصائي المعلومات بالمكتبات ومراكز المعلومات، حيث يعتبر ذلك الشخص المسؤول على تهيئة وإيصال وإتاحة المعلومات للمستخدمين، وحلقة الوصل بين مصادر المعلومات المختلفة والمستخدمين. ويعرفه الباحثون في علوم المكتبات والمعلومات بأنه شخص ذو تكوين أكاديمي، له معرفة بعدة مجالات منها: الحاسب الآلي وعلم المكتبات وعلم المعلومات وهندسة النظم وإدارة المعلومات... ويقوم بمعالجة البيانات ويتولى تجميع واختيار وفهرسة وتكشيف مجموعات الكتب والمطبوعات والوثائق ووضعها على ذمة الباحثين والدارسين لاستخدامها، وهو المنشغل أساسا بالمستخدمين من المعلومات، وهم كذلك المعنيون بقوانين علم المعلومات ونظرياته

وفلسفته وغيرها، ويقومون بتحليل إشكاليات المعلومات ويصممون النظم والشبكات ويقومون بتشغيل وصيانة تكنولوجيات النقل والتجهيز وإجراءات الأعمال المتصلة بها وهم الذين يعملون بين متخذي القرار وجسم المعرفة.

1. المسار التاريخي لنشأت المكتبات والتطور المفاهيمي لمهنة المكتبي

كانت المكتبات في العصور القديمة جزءاً من دور العبادة، الأمر الذي جعل من الكهنة ورجال الدين قديماً يعتبرون مكتبيين، وكان هؤلاء يحتفظون بإنتاجهم الفكري من كتب وأبحاث ودراسات في المعابد التي يعملون بها، حيث يقومون بتدوين هذا الإنتاج بكتابات لا يستطيع أفراد الشعب قراءتها، ومن ثم لا يستطيع أحدهم معرفة أسرارهم العلمية فينافسوه على الزعامة والسيطرة على الناس.

وفي بلاد الرافدين كان يطلق على أمين المكتبة، مجارس الكتب وكان يشترط فيه الثقافة والتأهيل لهذا العمل وان يكون متخرجاً من مدرسة الكتبة التي تعلم الكهان القراءة والكتابة، ومتمرنًا على نسخ السجلات وحفظها. كما أطلقت عليه ألقاب أخرى كثيرة تشير إلى أهميته وإلى طبيعة محتويات مكتبته، مثل كاتب بيت الحياة المزدوج ورجال المكتبة السحرية الحكماء، وهذه الألقاب تدل على أن المكتبات التي كانت في عهدهم، تحوي كتباً دينية وفلسفية وطبية... وعلى نفس هذا المنوال سار اليونانيون ليحافظوا على الرتبة العالية التي تمنح لأمناء المكتبات.

في مصر القديمة، كان الكهنة والعلماء يحتفظون بإنتاجهم الفكري المدون باللغة الهيروغليفية بالمعابد، بالصورة التي تترأى لهم، ولكل منهم مكان خاص، ولم تكن المدونات متاحة لعامة الشعب، بل اقتصر خدماتها على فئة العلماء فقط. ومع تزايد الإنتاج الفكري ظهرت فكرة التطوع لتنظيم مقتنيات المكتبة بصورة معينة من أجل المحافظة عليها من التلف أو الفقدان، ثم تطورت الفكرة من التطوع إلى التعيين، حيث كان التركيز في البداية على اختيار أمين المكتبة من

العلماء أو المفكرين أو الأدباء أو المحبين للكتب والقراءة، وقد تنوعت اختصاصاتهم فمنهم الفلكيون ومنهم الرياضيون ومنهم الأدباء ومنهم اللغويون ومنهم الجغرافيون¹. كان لأمناء مكتبة الإسكندرية ثلاث مهام تأسيسية متمثلة في تجميع التراث القديم المشتت والبحث والتدريس والتمحيص والتأليف واقامة التجارب وتنظيم المكتبات تنظيماً فنياً وتسهيل سبل الاطلاع على محتوياتها وتسهيل عمل الباحثين. كما كان أمين المكتبة الرئيسي في الزمن القديم يقوم بشراء المخطوطات والكتب الجديدة، وفهرسة وتصنيف الكتب، في حين كانت مهمة مساعده الإشراف على النسخ والنساخ والاعتناء بالمخطوطات القديمة وإخراج التالف منها وإحلال مخطوطات جديدة محلها، أما الموظفون العاديون فقد كانت مهمتهم غير فنية وإنما يقومون بالأعمال المطلوبة منهم تحت إشراف الفنيين والعلماء.

أما في العهد الإسلامي فقد انتشرت المكتبات ووضعت تحت إدارة ثلاث أشخاص: المشرف الأعلى ويسمى الوكيل، وأمين المكتبة ويسمى الخازن، ومساعد ويسمى المشرف، وكان من أبرز المكتبات "بيت الحكمة" في بغداد التي أقامها الخليفة المأمون².

بأوروبا وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، لم تخرج المكتبات عن الأديرة والكنائس، حيث كانت الكتب توثق بالسلاسل قصد المحافظة عليها من أية أخطار تهددها، وكان من يريد القراءة يأخذ الكتاب بسلاسله ثم يعيده للخزانة كما هو. وكان أمين المكتبة خلال تلك الفترة يحرص على أن تكون الكتب بعيدة عن أيدي الناس، حتى يتمكن فيما بعد من تسليمها

1. عرف منهم: زينودوتس، ابولونيوس، ايراتوستينس، ايرستوفانس، ابولونيوس، الايديوغرافي، وكان أشهرهم من حيث الاعتناء بالمكتبات وتنظيمها هو كليماخوس، الذي أوجد فهرساً لمكتبة الإسكندرية لعله من أقدم فهارس المكتبات في العالم وأسمه "Pinakes" "بناكس" وكان يعمل معلماً إلى جانب شهرته في مجال الشعر والأدب، وعندما تولى العمل في إدارة مكتبة الإسكندرية وجد أن مقتنيات المكتبة في نمو متزايد، نتيجة حرص الملوك البطالمة على جمع التراث اليوناني والبشري من كل مكان بهذه المكتبة، حتى إن السفن التي كانت تأتي إلى ميناء الإسكندرية كان يتم تفتيشها وتفتيش من عليها بحثاً عن الكتب لتزويد المكتبة بها، لذلك فكر كليماخوس في عمل سجل يضم كافة هذه المقتنيات، ووصف كل كتاب بعنوانه واسم مؤلفه وموضوعه وفقرات من بدايته ونهايته، وذلك من أجل حصر المقتنيات، وتسهيل تعرف العلماء وصغار العلماء من طلبة العلم المترددين على المكتبة على مقتنياتها. وعندما مات كليماخوس ولم يكن قد انتهى من هذا العمل استكماله تلاميذه (أبولونيوس وأرستاخوس) ولقد استمرت الفئة المسيطرة على إدارة المكتبات من العلماء والأدباء ومحبي القراءة نظراً لارتباطهم كثيراً بالمكتبات من أجل القراءة والاطلاع وإعداد الأبحاث والدراسات المختلفة، إلى جانب تشجيع الحكام لهم على مواصلة البحث العلمي (ملاح، تامر، 2012).

2. بيت الحكمة في القاهرة التي أقامها الحاكم بأمر الله، ولقد حرص الخلفاء على جمع تراث الإنسانية بمكتباتهم، كما شجعوا الترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، حتى إن المأمون كان يسمح كل من يقوم بترجمة أي كتاب إلى اللغة العربية وزن ورقة ذهب. (السوي الخالدي، عمر، 2016)

عهدة لمن يأتي بعده من أمناء المكتبة، دون أن تتلف الكتب أو تمزق، من كثرة الاستعمال أو أن تكون قد فقدت بفعل السرقة. وربما كان لأمين المكتبة في ذلك الحين عذره، حيث كانت تنسخ باليد، فلم تكن الطباعة قد اخترعت بعد¹، فيصعب تعويضها، خاصة إن كانت بالمكتبة نسخة واحدة من كل كتاب، إضافة إلى أنها باهضة الثمن وصعبة المنال.

مع بداية عصر النهضة في أوروبا زاد الاهتمام بمحو الأمية، مما انعكس إيجاباً على عدد المدارس الذي بدأ في التطور، فظهرت حركات الإصلاح، ونداءات الحرية والتقدم والنهضة الثقافية والفكرية، فكانت أولى المبادرات للاهتمام بالمكتبات العامة، وذلك على يد "مارتن لوتر"، الذي اعتبرها ضرورية للتعليم (غنيم، محمد حسن، 2006) فتغيرت وظيفة أمين المكتبة من مجرد جامع وحافظ للمواد المكتبية، إلى مشجع على استخدامها بلا قيود أو عقبات، مما جعل المكتبيون يبتكرون عمليات فنية لمساعدة المستفيدين على استخدام المواد المكتبية وتشجيعهم على ارتياد المكتبات، وإرشادهم إلى المواد المناسبة لهم، ومن ثم تحول أمين المكتبة من مجرد حارس لها إلى فاعل في فضاء المكتبة لتظهر وظائف جديدة وتسميات لأمين المكتبة مثل مهندس المعرفة ومستشار المعرفة ومدير المعلومات ومكتبي المستقبل ووسيط المعلومات...

2. التغيير الوظيفي بالمكتبات وضرورة التأهيل الأكاديمي للمكتبي

إثر التطور العلمي وتنوع احتياجات المستفيد، شهدت المكتبات تطوراً، تغيرت معه طريقة أداء العاملين بها، فبدأت مرحلة تأهيل العاملين بالمكتبات وتخريج أجيال جديدة ركزت دراستها على المكتبات وطريقة تنظيمها وخدماتها، فنشطت الأبحاث الخاصة بعلم المكتبات والقراءة وخدمات المستفيدين.

فكان من مظاهر هذا الاهتمام والتغيير أن ظهرت سنة 1829، في ميونخ بألمانيا فكرة التكوين الأكاديمي لتوفير متخصصين في تقديم الخدمات بالمكتبات، لتتطور الفكرة بعد ذلك ويضع أمين

1. لم يكن هنالك اهتمام بتنظيم المكتبة حتى يسهل الاستفادة منها، ومن كان ينظمها فقد كان له أسلوبه الخاص، وذلك لعدم وجود قواعد وأسس لتنظيم المكتبات آنذاك، وفي نفس الوقت لم يكن أمين المكتبة يحرص على بذل أي جهد لتشجيع الناس على استخدام الكتب والقراءة، بل كان يضع العراقيل أمامهم، حتى إن بعض المكتبات الأوروبية جعلت ارتياد المكتبة في أيام معينة، كما اشترطت ألا يقل سن المستفيد عن 21 سنة، وأن يكون الغرض من ارتياد المكتبة هو الاطلاع فقط، ولهذا اقتضت الخدمة المكتبية العامة في تلك الفترة على المفكرين أو الذين يستطيعون تحديد ما يرغبون في قراءته دون مساعدة أمين المكتبة.

مكتبة إحدى الجامعات الألمانية سنة 1874 برنامجا دراسيا جامعيا لمدة ثلاث سنوات في علم المكتبات. وقد عززت جامعة "جوتنجن" سنة 1886 هذا البرنامج، لتحديث كرسي للأستاذية في علم المكتبات¹، ومنها بدأت دعوة الأساتذة سنة 1887 لتدريب المكتبيين. كما ظهرت في نفس السنة 1887 أول دراسة رسمية لتدريس المكتبات بجامعة كولومبيا بنيويورك بفضل جهود عالم المكتبات "ملفيل ديوي"، صاحب تصنيف ديوي العشري، وكان أول ظهور لأمناء المكتبات سنة 1890 على اثر افتتاح مكتبات للأطفال (ملاح، تامر، 2012)، والتي لوحظ مع بداية القرن العشرين أنها أصبحت تمثل ركنا بالمكتبة وأحيانا قسما خاصا بهم، يضمن للأطفال الحرية والاستقلالية، بعد أن كانت كتبهم تمثل رفأ بين كتب الكبار، لتضم الى جانب المواد المكتبية، وسائل الترفيه المختلفة من ألعاب ورسوم وموسيقى، وأصبحت الكتب التي تعار للأطفال في العديد من المكتبات تمثل ثلث مجموع الكتب التي تعار للكبار، كما كان من يعمل بهذا القسم إلى جانب تخصصه في المكتبات، متخصصا أوله دراية في كيفية التعامل مع الأطفال، وعلم نفس الطفل.

أما بالعالم العربي² فقد كانت بداية تأهيل العاملين بالمكتبات بمصر، خلال منتصف القرن العشرين حيث أنشأ معهد الوثائق والمكتبات بجامعة فؤاد الأول، والذي تحول بعد ذلك إلى قسم المكتبات بكلية الآداب، ثم بعثت العديد من أقسام المكتبات في جامعات مصر المختلفة، وبذلك أصبح خريجي هذه الأقسام قادرين ومؤهلين لتنظيم وإدارة المكتبات وتقديم الخدمات المكتبية.

منذ أواخر سبعينات القرن العشرين، أخذت الجامعات العربية في إنشاء أقسام تعنى بعلم المكتبات حتى أصبحت دراسة المكتبات واحدة من أبرز التخصصات بمعظم الدول العربية، لتتطور ابتداء من سنة 1971 نوعية الخدمات بالمكتبات وتشمل الفئات الخاصة من فاقد السمع أو البصر والمرضى ونزلاء السجون والمستشفيات وسكان المناطق النائية، عملا بالمبدأ أنّ المعرفة

¹ - تعززت المخططات الأكاديمية، ببعث الجمعية الأمريكية للمكتبات «ALA» سنة 1876 وتعدّ هذه الجمعية من أقدم المؤسسات المهنية في تخصص المكتبات على مستوى العالم

2. تطورت إثر حلقة دراسية عقدت سنة 1959 الخدمات التي تقدمها المكتبات العامة ومنها وظيفة أمين المكتبة، من منظم للمواد المكتبية وإرشاد القراء، إلى الكثير من الوظائف الأخرى، مثل تقديم الخدمات المرجعية المختلفة، واستخدام المواد السمعية والبصرية، و...، وكذلك المساهمة في حملات محو الأمية وتعليم الأطفال والكبار. وعلى هذا المنوال، بدأت مدارس وأقسام المكتبات في العالم في تدريب خريجيها على القيام بهذه الوظائف المختلفة، حتى يصبحوا على دراية كافية بهذه الوظائف والخدمات (ملاح، تامر، 2012).

والقراءة حق للجميع. ويتدعم هذا الانتصار لتخصص علم المكتبات بظهور إعلان اليونسكو للمكتبات العامة سنة 1972 والذي حدد معالمها المختلفة، ودور العاملين بها، وقد دعم الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات «IFLA» سنة 1973 هذه المبادرات، حيث حددت المهام المختلفة لأمين المكتبة، مع تعديلات أخرى أحدث سنة 1977 لهذه المعايير.

مع اكتساح تكنولوجيا المعلومات، لعالم المكتبات، قدمت سنة 1986 تعليمات وخطوط إرشادية حول المكتبات العامة ووظائف العاملين بها، حيث بدأ معها مفهوم أمين المكتبة الشامل الذي يقوم بجميع المهام المكتبية في معظم المكتبات يختفي، لتظهر العديد من الوظائف الجديدة، كاختصاصي المعلومات، واختصاصي الموضوعات، واختصاصي قسم الأطفال، واختصاصي قسم الشباب، واختصاصي الفئات الخاصة، واختصاصي التزويد، واختصاصي الإعداد الفني للمواد المكتبية، واختصاصي خدمات الإعارة والاطلاع الداخلي، واختصاصي قسم الأوعية غير المطبوعة، واختصاصي المعلومات والإنترنت (ملاح، تامر، 2012).

3. من المكتبي إلى أخصائي المكتبات في عصر الواب والأنترنت

كانت النظرة التقليدية لأمين المكتبة أو المكتبي تقتصر على كونه حارساً للكتب، وكلما كان حرصه على سلامتها من الضياع والتلف والخسارة أنجع، كلما اعتبر أميناً ناجحاً في قيامه بواجبه. ومع مضي الزمن وتعدد الاحتياجات المعرفية، أصبحت المكتبات مؤسسات كبرى، استوجبت التخصص في إدارتها وتدير أمورها، مما جعل من مهنة أمين المكتبة من المهن الراقية التي يعدّها إعداداً علمياً جيداً، ليتحول المكتبي إلى معلم وتتحول المكتبة إلى مدرسة، ويصبح معيار نجاحه هو قدرته على جذب القراء والمستفيدين إلى المكتبة، حيث يشير الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات والمعلومات في هذا الصدد، أنّ مهام أخصائي المكتبات مرتبطة أساس بالخدمات، أي الوظائف والأعمال والأنشطة التي تهدف إلى تلبية رغبات المستفيدين، إذ أنه كلما ارتفعت نسبة الكتب المعارة وكثر النشاط الاجتماعي والثقافي للمكتبي، وتمزقت الكتب من كثرة استعمالها، كان ذلك دليل على نشاط المكتبة وعلى نجاحها في مهمتها.

من جانب آخر، وللتفاعل مع التقنيات الحديثة وشبكات المعلومات، يبدو أن مراجعة أخصائي المعلومات لمهامه التقليدية، أصبحت ضرورة، باعتبار أن النقلة نحو التقنية تمليها الحاجة إلى إعداد كوادر المستقبل للعمل في المكتبات، لأن التحولات السريعة فرضت ظهور وظائف ومهن معلومات جديدة، يمكن تصنيفها الى صنفين:

- مهن تقليدية متجددة وهي تلك المتمثلة في خدمات البحث على الأنترنت، وتتلخص هذه المهمة في تقييم الموارد المعلوماتية واستفسار أدلة البحث المتاحة على الشبكة وبنوك معلومات المكتبات الإلكترونية ومحركات البحث، إضافة إلى المعالجة البليوغرافية على الخط من اجل الاستفادة من الفهارس المكتبية والتسجيلات البليوغرافية المعروضة على شبكة الأنترنت للحصول على المعلومات البليوغرافية. وتعرض هذه الخدمة بشكل من الأشكال، وظيفة اخصائي المراجع التقليدية والمتمثلة في البحث في موارد المكتبة للوصول إلى المعلومات المرجعية من المصادر الأولية.
- مهن مستحدثة والتي تنزل ضمن إطار التجديد المستمر لما يقدمه أخصائي المعلومات من خدمات على شبكات الاتصال Internet Service Providers (ISP)، وتضم إجراءات تصميم مواقع الأنترنت لنشر المعلومات، مع إمكانية نشر القصص وإجراء المسابقات واستحداث برامج معينة. إضافة إلى الكشف عن المعلومات المتاحة على الخط مع تنظيمها وتكسييفها لتسهيل استرجاعها عبر الواب، وكذلك تحديد المواقع التي يهتم بها دليل البحث، والإحاطة بمحتوى تلك المواقع إضافة ومراقبتها، وتقييم عملية التكشيف التي يقوم بها ناشر الموقع، ومنها ولدت مهمة أخرى لأخصائي المعلومات وهي التعليم والتثقيف بشرح تقنيات الأنترنت وإكساب المستفيدين مهارات استرجاع المعلومات عن طريق إقامة الدورات وإعداد أدلة إرشادية. كما يتخذ أخصائي المعلومات أحيانا دور الوسيط، نيابة عن المستفيد في القيام ببعض العمليات المعقدة والتي تحتاج إلى شرح مثل البحوث المتقدمة، وإعداد وتجهيز الدراسات التي قد تحتاجها بعض الشركات وأحيانا يقوم بتقديم بعض الاستشارات للمؤسسات التي ترغب في أن تدخل مكاتبها ضمن شبكات الاتصال (ملاح، تامر، 2012).

وبهذا تطورت مهام أخصائي المعلومات زمن شبكات الواب الى خبير أو استشاري معلومات أو أمين مراجع وموجه أبحاث، لتقديم معلومات دقيقة وفورية لكافة المستفيدين على اختلاف مستوياتهم وتوفير فرص أوفر لتدريبهم.

II. أخصائي المعلومات والبيئة المعلوماتية بين المفهوم والممارسة والجدوى

يعتبر مفهوم البيئة المعلوماتية مصطلحا مستحدثا، يحيلنا مباشرة الى مصطلح "معلومات"، حيث يهدف هذا المجال البيئي إلى توفير المعلومات المرتبطة بمجالات مختلفة، كما عرفت البيئة المعلوماتية بما هي الاستخدام السليم لتكنولوجيا المعلومات الحديثة التي صارت عنصرا حيويًا في الحياة اليومية.

تتميز البيئة المعلوماتية بمجموعة من الخصائص المتمثلة في سهولة الوصول إلى المعلومات خلال فترة زمنية قصيرة والقدرة على نقلها، ونشرها، مع إمكانية دمج المعلومات معاً، من أجل الوصول إلى فكرة جديدة ومفيدة (خضر، مجد، 2016). إذ أنّ الحصول على معلومة ما، لم يعد مقتصرًا على مصدر أو مكان معين، بل صار من الممكن الحصول على المعلومة الواحدة من عدة مصادر، وهذا ما جعل طرق التعلم، والمعرفة تتميز بسرعة وسهولة الحصول عليها.

لعل ما توفره البيئة المعلوماتية من خدمات هو ما قد جعل منها حجر الأساس لانتشار فكر ثقافي يعتمد عليها، أطلق عليه ما يسمى بـ "الثقافة المعلوماتية"، والتي تشير إلى استخدام كافة الأدوات، والوسائل التكنولوجية الحديثة في الحصول على المعلومات، في زمن توفرت فيه الإمكانية لأي شخص مهما كان عمره، أو مستواه التعليمي أن يمتلك اتصالاً بشبكة الإنترنت، وأن يحصل على المعلومة التي يريدها خلال فترة زمنية قصيرة.

1. الثقافة المعلوماتية في علاقتها بالوعي المعلوماتي

ارتبط مفهوم الثقافة المعلوماتية بمجموعة من المفاهيم والمهارات ذات العلاقة بمجال المكتبات وتكنولوجيا المعلومات، غير أن جل الدراسات قد خلصت إلى أن الثقافة المعلوماتية أوسع مفاهيمًا من كل المفاهيم السابقة وذات أبعاد أشمل. ففي الوقت الذي تمكنت فيه تكنولوجيا المعلومات من اكساب الفرد المهارات الأساسية للتعامل مع الآلة والبرمجيات وشبكات الاتصالات، تركزت

الثقافة المعلوماتية على المعلومات ذاتها من حيث هويتها و بنيتها وآثارها الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية (عزمي، هشام. 2006).

في هذا السياق، فقد أشارت إحدى الدراسات، أن ثقافة المعلومات تركز على معرفة أسباب الاحتياج للمعلومات ومصادر المعلومات وليس فقط معرفة كيفية التعامل معها، كما أشارت جمعية المكتبات الجامعية والوطنية¹ (SCONU)، إلى ارتباط مهارات المعلومات بالقدرة على تحديد مصادر المعلومات ومعايير تقييمها وتحليلها وأسلوب تقديمها بغض النظر عن شكل المصدر الذي تتاح من خلاله المعلومات. وتناولت اليونسكو مسألة ثقافة المعلومات بأنها تهتم بتدريس وتعلم كافة أشكال ومصادر المعلومات، ولكي يكون الشخص ملماً بثقافة المعلومات فعليه أن يحدد: لماذا ومتى وكيف يستخدم كل هذه الأدوات، ويفكر بطريقة ناقدة في المعلومات التي توفرها (عزمي، هشام. 2006). ولعلّ هذا ما جعل من مصطلح الثقافة المعلوماتية مترادف مع مصطلح الوعي

المعلوماتي، لكونه يشمل الوعي بالجوانب الأمنية في العالم الرقمي ومعرفة الحقوق والحدود لتجنب الوقوع فيما يمكن أن يعد جريمة معلوماتية.

عرفت اللجنة الرئاسية للوعي المعلوماتي (Presidential Committee of Information Literacy) التابعة لجمعية المكتبات الأمريكية ALA في تقريرها النهائي لعام 1989 والذي يعد نقطة تحول لهذا المفهوم "أن الشخص الواعي معلوماتياً هو القادر على إدراك متى يحتاج للمعلومات، ولديه القدرة على تحديد مكانها وتقييمها واستخدامها، وهو الشخص الذي تعلم كيف يتعلم، لأنه يعرف كيف يصل إلى المعلومات ويستخدمها بطريقة يستطيع أن يتعلم منها الآخرون" (جيسون. 2004). في هذا الصدد، بادرت المؤسسات بوضع المعايير الخاصة لقياس مجموعة المهارات المرتبطة بثقافة المعلومات، ومن أهم هذه المعايير تلك التي وضعتها جمعية المكتبات

1 هي جمعية تعنى بتثقيف ونشر ثقافة المعلومات في بريطانيا وإيرلندا

2. يعود أول استعمال لمصطلح الوعي المعلوماتي لـ Paul Zurkowski سنة 1974 حين قدم اقتراحا للجنة القومية لعلوم المعلومات والمكتبات لوضع هدف قوي لتحقيق الوعي المعلوماتي خلال السنوات العشر التالية. (Zurkowski, Paul G, 1974)

3. بمعنى السيطرة على المعلومات وضمان أمنها وخصوصيتها، عبر تحديد متسّم البيانات، وصلاحيات الوصول إليها، مع استخدام التقنيات اللازمة لضمان عدم اختراقها.

الأكاديمية والبحثية في الولايات المتحدة ACRL بعنوان Information Literacy Competency Standards for Higher Education والتي أقرتها جمعية التعليم العالي في الولايات المتحدة سنة 1991 كمقياس أساسي لتقييم مهارات التعامل مع المعلومات لدى الطلاب في كافة الكليات والجامعات الأمريكية.

تعززت أهمية التفكير في مسألة الثقافة المعلوماتية في ظل الثورة التكنولوجية والانفجار المعرفي وآليات التحكم فيه، في إطار عولمة أرست مجتمع ذا مهارات يسير جنباً إلى جنب مع متطلبات الاندماج في العصر الرقمي ويضمن البقاء فيه مع ضرورة التسلح بمهارات الوعي المعلوماتي للتفاعل معه.

2. لماذا يفرض مجتمع المعرفة الحاجة إلى الوعي المعلوماتي

أفضت الثقافة المعلوماتية في نطاق ثورة تكنولوجية يسرت تقاسم المعرفة وحفظها واستعادتها إلى ما أطلق عليه بمجتمع المعرفة، حيث أصبحت قيمة أساسية يعتمد عليه أخصائي المعلومات، وذلك أخذاً بعين الاعتبار للبعد الثقافي لمجتمع المعرفة والذي يعني ضرورة إعطاء أهمية للمعلومة، وحرية التفكير والإهتمام بالقدرات الإبداعية للأشخاص، والعدالة في توزيع المعرفة، كما يعني أيضاً نشر الوعي المعلوماتي في الحياة اليومية للفرد والمؤسسة والمجتمع (Bindé, 2005). في هذا الصدد، فإنّ الحديث عن الحاجة إلى الوعي المعلوماتي¹ من أجل مجتمع معرفة، يجعلنا نقدم بعض التوضيح باعتبار أنّ المعرفة هي حصيلة المزج بين المعلومات والخبرة والمدرجات الحسية،

1. يعرف المجلس الأسترالي لأمناء المكتبات الجامعية " Council of Australian University Librarians: الوعي المعلوماتي بما هو مجموعة القدرات التي تتطلب من الأفراد فهم وتحديد متى يحتاجون للمعلومات وتحديد مكان المعلومات المطلوبة واستخدامها وتقييمها بكفاءة." ويتناوله المنتدى القومي للوعي المعلوماتي " NFLI : National Forum on Information Literacy: هذا المفهوم بأنه القدرة على معرفة متى تكون هناك حاجة للمعلومات أو المشكلة التي في متناوله ليكون قادراً على تمييز وتحديد مكان المعلومات وتقييمها واستخدامه."

أما مارييس "Marais" فقد عرّف سنة 1992 الوعي المعلوماتي ومهارات المعلومات بأنها "عملية إكتساب معرفة نحو مواقف أو مهارات المعلومات كأعظم قرار للطريق الذي يستغل الأفراد حقيقته في التطوير والحياة والعمل والإنصال في مجتمع المعلومات" ويصف دراش "Drach" عام 1997 الوعي المعلوماتي "بأنه يتطلب الإحاطة بالطريق التي تعمل فيه نظم المعلومات والربط الديناميكي بين الحاجة للمعلومات والمصادر والقنوات التي تتطلب إشباع تلك الحاجة" ويتناول قاموس المكتبات والمعلومات على الخط المباشر ODLIS : Online Dictionary of Library Information لعام 2003 مفهوم الوعي المعلوماتي "بما هو إكتساب مهارة الوصول للمعلومات التي يحتاجها وفهم كيفية تنظيم مصادر المعلومات في المكتبات وإعداد المعلومات وأدوات البحث الإلكترونية واستخدام التقنية في عمليات البحث وتقييم المعلومات والإستفادة منها بفاعلية وفهم البنى التحتية للتقنية التي تعد أساس نقل المعلومات وتأثير العوامل الإجتماعية والسياسية والثقافية على ذلك."

حيث تجمع التمثيلات والأفكار والآراء والمعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات التي تختزن في الذهن، كنتاج لمحاولات الإنسان فهم الظواهر والأشياء المحيطة به. بشكل عام، يختلف رصيد المعرفة لدى الشخص الواحد من وقت الى آخر بحصوله على معلومات وخبرات وتجارب جديدة، كما يختلف رصيد المعرفة أيضا، باختلاف البيئة التي يعيش فيها، لكن في النهاية تساعده هذه المعلومات على إنشاء شبكة من العلاقات المنطقية، يمكن ان يطلق عليها قاعدة المعرفة والتي تمكن من ترجمة المعلومات الى قدرة في التحليل والتركيب، واللتي توفّران له عنصر الخبرة.

لعلّ مبدأ الوعي هو ما يجعل المستخدم مهما كان رصيده المعرفي، يجيد تقنيات التواصل والاتصالات، و يجعل منه باحث ومحلل واعي ومقوم لفعالية المعلومات التي حصل عليها، اعتمادا على مهارات. وهذا أساسا ما يفرض تأسيس فكر معلوماتي ليصبح المستخدم للتقنيات الحديثة للمعلومات والاتصالات، مثقف معلوماتيا، فيدرك مباشرة المعلومات، ويكتسبها وينتجها، ويستثمرها.

بهذا الاعتبار تصبح المعرفة مرتبة عليا يدركها الفرد ليندمج عبرها في مجتمع المعرفة لكونه المجتمع الذي يوظف المعرفة في تسيير أموره وفي اتخاذ القرارات، وهو المجتمع الذي ينتج المعلومات ويستند عليها، الأمر الذي يحيز لنا القول أنّ مجتمع المعرفة يقوم على الوعي بأهمية المعلومة نشرها وانتاجا وتوظيفها (مثناني، رضا، 2006). لذلك نقول إن الانتقال من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة يعد نقلة كيفية في مجال التطور الحضاري الإنساني، لكون مجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يقوم على أساس اقتصاد المعرفة ويحسن استعمالها في تسيير أموره وفي اتخاذ القرارات السليمة والرشيّدة والمركزة على وعي معلوماتي وثقافة معلوماتية، في ظل انتشار تكنولوجيا وسّعت في حجم الفضاء المعرفي (Bindé.2005).

في هذا السياق، يجعلنا بيان الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساتها IFLA ندرك أنّ المكتبات ومراكز المعلومات تشكل منارات للفكر بما حفظته وقدمته من معارف، و توفير لآليات الوصول إليها، الأمر الذي يجعلنا نستشعر حساسية موقع أخصائي المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات، لكونه المعني والقادر على إرشاد المستفيدين إلى طرق تصنيف المعرفة واكتشاف

العلاقات بين أقسامها، مما يعزز دوره في تنمية مهارات الانتقاء والتقييم والتحليل للمعلومات خلال عملية البحث (محمد العمودي، هدى، 2008) واكتساب ثقافة معلوماتية من ناحية ونشرها من ناحية أخرى.

3. مجالات تدخل أخصائي المعلومات في تنمية الوعي المعلوماتي

لم يكن التطور الذي شهده عالم المكتبات وليد الصدفة، بل أنه قد خضع الى عمليات تأسيس منظمة، تستجيب للتحويلات التي شهدها عالم المعرفة، ومن هنا لا نستطيع أن نتحدث عن مجتمع المعرفة وعن إنتاج عقلائي للمعرفة دون أن يكون أخصائي المعلومات وسيطا ومحركا في ذلك ويعمل على وصل حلقاتها ببعضها البعض، ولعلّ هذا الأمر يحثنا من جديد على اعادة التذكير بضرورة اكتساب أسس الثقافة المعلوماتية والتحلي بالوعي المعلوماتي من أجل الانخراط الفعلي في مجتمع المعرفة.

في هذا الإطار اتجهت جملة التعريفات لمفهوم الوعي المعلوماتي¹ الى الاقرار بارتباط هذا المفهوم بالبحث عن المعلومات وتقييمها واستخدامها، بالإضافة إلى استخدام تقنيات المعلومات والوسائط المتعددة، والإلمام بالقضايا التي تحيط بالمعلومات والتأثير على الآخرين عند استخدامها، مما يبني لدى الأفراد قدرات معينة يمكن تلخيصها في : التفكير الناقد ووضع القرارات لحل المشاكل وتحسين الخطط لإدارة المعلومات والوصول إليها، وتوضيح كيفية اكتساب المعرفة والفهم، مع تطوير الذات في كيفية إدارة الأداء والاتصال والابتكار والإبداع.

من هنا نفهم أنّ من بين مهام أخصائي المعلومات، إضافة إلى توفير المعلومة، أيضا منح الفرصة للمستفيد لاكتساب ثقافة المعلومات وتيسير الوصول إليها، لأنّ افتقاد القدرة على الوصول إلى المعلومات، من شأنه أن يؤثر سلبا على قدرة الفرد على اتخاذ القرار المناسب. لذلك يعتبر سعي مختص المعلومات لاكتساب المستفيد ثقافة المعلومات، مطلباً أساسياً في إعداد شخصيته ومساعدته لاستكمال دراسته ثم انخراطه في سوق العمل.

¹. انظر التعريفات التي اسندت الى مفهوم الوعي المعلوماتي بالهامش رقم 9

في هذا الصدد نذكر أنّ منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (UNESCO)، قد جعلت الوعي المعلوماتي شرطاً أساسياً، حيث نصّت على أنّ: «تحدد الحاجات والاهتمامات المعلوماتية والقدرة على تحديد مكانها وتقييمها وتنظيمها واستخدامها والاتصال بالمعلومات لمعالجة القضايا والمشاكل، شرط للمشاركة في مجتمع المعلومات وجزء أساسي من حقوق الإنسان للتعلم مدى الحياة» (عزمي، هشام. 2006). وهذا يعني بشكل من الأشكال، أنّ مجتمع المعرفة الذي يمثل تحدياً للمجتمعات المنتجة للمعرفة، يرتبط أساساً بفضاءات توفير المعرفة الذي يتيح كل شيء فيه فرصاً للفرد ليتعلم ليعرف، ويتعلم ليعمل، ويتعلم ليعيش مع الآخرين، ويتعلم ليحقق ذاته. ولذلك تنظر الدول المتقدمة إلى أخصائي المعلومات في المكتبات على أنه قائد لتكنولوجيا المعلومات ولمصادرها، فمن بين أدواره هو مساعدة المدرسين في حسن استخدام المصادر الإلكترونية، كما أنه يقوم بإعداد برامج تدريبية لكل من المدرسين والطلاب لما لهم من مسؤولية في تنمية المهارات المعلوماتية.

لذا نقول، أنّ لأخصائي المعلومات دور حساس ومتشابك في تنمية الوعي، فبالإضافة إلى كونه مدير يجهد من أجل تحديد وإدارة ميزانية المكتبة، وإعداد بيان مفصل لمقتنياتها من مواد وأجهزة، وتنقية مجموعات المكتبة بطريقة دورية، وإعداد خطط ذات أهداف قريبة وبعيدة المدى، وتقديم الخدمات المرجعية لأعضاء هيئة التدريس والطلاب من خلال سعيه المستمر للتزويد المتنوع بالمواد التقليدية وغير التقليدية وتوفير المصادر المرجعية وتحضير الببليوغرافيات، ثمّ مدّها لأعضاء هيئة التدريس، فإننا نجد أحياناً استشاري تعليمي يساعد على مستوى الأقسام في التعريف بالمناهج الدراسية والمصادر المتخصصة، ويعمل على تيسير فهم وتطبيق البرامج المعتمدة على المصادر والتي تدعم المناهج ويساعد على التكيف معها، ويتعاون وينسق مع المدرسين في اختيار المواد الدراسية والأنشطة التي تساند المناهج، ومراجعة واختيار وتقييم المصادر التكنولوجية المزودة بإرشادات وتعليمات.

لذلك نقول اليوم أنّ دور أخصائي المعلومات قد تطور إلى مستوى كونه مدرّس حيث يعمل على ضمان التعاون مع المدرسين ومشاركتهم في توجيه الطلاب وإرشادهم للمهارات المعلوماتية التي تساعد على تحديد وتحليل المعلومات باستخدام مصادر المعلومات التقليدية وغير التقليدية،

وكذلك على تشجيع الطلاب ليصبحوا قراءاً مدى الحياة (محمد العمودي، هدى، 2008). وحتى يثبت أخصائي المعلومات نجاعته، عليه أن يتمتع بالمؤهلات والمهارات المعلوماتية والتخصصية والإدارية اللازمة، وبذلك يتضح دور المكتبات ومراكز المعلومات في تنمية الوعي المعلوماتي وما يقع على كاهل أخصائي المعلومات من مسؤوليات تجعله من ناحية فاعلاً في مجتمع المعرفة ومن ناحية أخرى يقود المجتمع نحو المعرفة.

III. الواقع ووضع أخصائي المعلومات في المجتمعات العربية ورهانات النهضة

فرضت تكنولوجيا المعلومات واقعا جديداً على وظائف المكتبات ومراكز المعلومات وطرق تقديم الخدمات، ومن أجل أن تتحول المكتبات ومراكز المعلومات إلى مؤسسات تواكب ما يشهده العالم من ثورة معلوماتية، ومن أجل أن تحافظ المكتبات على دورها العلمي والريادي في تقديم خدمات المعلومات، كان لابد من أن تدمج مع العالم الرقمي، لتظهر ما سميت بالمكتبات الرقمية أو المكتبات الافتراضية، مع ضرورة الدعم المادي والبشري. ويعتبر ذلك تحدياً ترفعه المجتمعات العربية للتموقع في فضاء اتصالي يتجاوز الأدوات التقليدية باستحداث أدوات جديدة، ولعلّ هذا التحدي هو في الحقيقة موجه لمواجهة الخلل القائم بين البلدان المتقدمة والبلدان الصاعدة، والذي كان نتاجه تكريس الفجوة المعلوماتية .

1. الفجوة المعلوماتية: هاجس المؤسسات المعلوماتية بالعالم العربي

لقد شاع استخدام مصطلح الفجوة في خطاب التنمية المعلوماتية ويقصد بها الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة والقدرة على استغلالها، نتيجة واقع معلوماتي تميز بالتسارع في امتلاك التقنية (عليّ، نبيل، 2005). وتعد هذه الفجوة المعلوماتية إحدى المشكلات الكبرى التي يعاني منها المجتمع العربي، ففي الوقت الذي حققت فيه المجتمعات المتقدمة ثورتها الثالثة وهي اليوم في طريق الثورة الرابعة للأنترنت، وانتقلت نتيجة هذه الثورة من حال سياسي واقتصادي واجتماعي وإنساني إلى حال أخرى شديد الاختلاف، وأتاحت للشعوب الفقيرة الوصول إلى ثروة معلوماتية غير مسبوقة، فإنّ هذا التطور غير المحدود قد قيّد

الشعوب الفقيرة والمتخلفة، أكثر مما أطلق يدها، وزاد من تخلفها أمام التطور العالمي، أكثر مما ساعد على تطويرها.

بالرغم من محاولة بعض المجتمعات العربية تضيق تلك الفجوة، إلا أننا نجد أن هذه المحاولات تتم ببطء شديد، وهذا ما جعل من الفجوة تزيد الى يومنا هذا، وربما يعود ذلك الى جملة من العوامل تكمن أساسا في غياب استراتيجيّة وسياسة وطنية في مجال المعلومات، والأمية المعلوماتية وغياب الدعم المالي والاستثمار في تكنولوجيا المعلومات نتيجة ضعف الاقتصاد الوطني بالنسبة للكثير من الدول النامية وانتشار الفقر، إضافة الى غياب الطاقات البشرية المتخصصة وحاجز اللغة (حسي. 2008). كل هذه العوامل ساهمت في ازدياد رقعة الفجوة المعلوماتية وجعلت من الدول النامية مجتمعات استهلاكية واقعة في تبعية غير متناهية ومطلقة للدول المتطورة ومنتجة أكثر للفجوة، بأشكالها ومستوياتها المختلفة: من معرفيّة وتكنولوجيّة، وإتصاليّة، وتعليميّة، وتنظيمية أو تشريعية، وثقافية، وديمقراطية إنسانية إلى العقلية حيث أننا مازلنا لا نكثر بأهمية بتحصيل العلم والبحث العلمي (الحافظي. 2008).

لعلّ أبرز أسباب ذلك يعود الى سوء تقدير المشرفين على المؤسسات المعلوماتية، للمبدأ اللامادي للمعلومة، إذ أنهم يعتقدون أن إدارة المعلومات مماثلة لإدارة الأشياء المادية. كما أن مغالطة غالبا ما تتبادر الى أذهان المسؤولين عن المؤسسات أنّ الحلّ كامن في استخدام النظم الحوسبة في إدارة نشاط المؤسسة بشكل كامل مع قدرتها على تقديم البديل دون دراسة للحاجات الحقيقية للمعنيين بالمعلومات، وكذلك دون فهم دقيق لوظائف ومهام المؤسسات، إضافة إلى الصعوبات التقنية والتكاليف الباهظة، وغياب خطط وطنية شاملة ومنظمة لتدريب قصير وطويل الأجل في

1

مجال التقنية المعلوماتية ، إضافة إلى عدم توفر اليد العاملة اللازمة، وهجرة الكفاءات. لكن بصيص من النور نلمحه حين نعود إلى التاريخ الحديث، فنجد نماذج لمجتمعات نامية تمكنت من تحقيق نهضتها بالاستفادة من ثمار الثورة المعلوماتية، فأصبحت رائدة في إنتاج تكنولوجياتها، في حين لم تكن أكثر الإحصائيات تفاؤلا منذ عقود قريبة تشير لاحتمال أي نهضة

¹ حتى وإن توفرت الخطط الوطنية فإنها قد تحيد أو يقع توقيفها عن التنفيذ لأسباب داخلية أو لأسباب خارجة عن الإرادة مثل تقليص الميزانية....

فيها (سويلم، 2005). ولعل هذا ما يبعث بعض الأمل في القدرة على وضع سياسة دولية على مستوى الدول وسياسة وطنية على مستوى المجتمعات قادرة على التصدي لهذه الفجوة الرقمية ووضع الحلول التي تصلنا إلى مجتمع المعرفة.

2. كيف السبيل لتجاوز الفجوة المعلوماتية؟

نعي جيدا أننا كمجتمع عربي، لا نستطيع في الوقت الراهن القضاء على الفجوة المعلوماتية بشكل نهائي، وانما يكفي الى حدود هذه اللحظة على الأقل الوعي بها والسعي للتفكير فيها بمسؤولية، وأن نعمل على تحديد الخطوط العامة لسياسات المعلومات في الدول العربية، من أجل الوصول إلى بيئة معرفية متجانسة، وتأهيل الطاقات البشرية في مجال تكنولوجيا المعلومات وكذلك اللغات، والعمل على ربط شبكات البحث العربي بالمحيط الخارجي، ورسم الخطى الأساسية للدخول الى ميدان التنافس المعلوماتي، عبر وضع خطط قابلة للتطبيق في مجال الاستثمار الصناعي والتكنولوجي، من خلال توظيف وتشجيع استخدام التكنولوجيا الحديثة في خدمة الإنتاج الفكري وتعزيز المحتوى الرقمي وتدعيم البحث العلمي والإبداع، فليس المهم اقتناء التجهيزات الإلكترونية المتطورة وبناء شبكات حديثة للمعلومات فقط، بل إنّ الأهم من ذلك هو كيف نوظف هذه التكنولوجيا وأين نوجهها.

كما أنّ تطوير التشريعات القانونية بشكل يتماشى مع خصائص مجتمع المعرفة والاتجاه إلى المجتمع الرقمي، خاصة في مجال حقوق التأليف الفكرية والرقمية، وأمن المعلومات، وغيرها، تبدو من الضوابط الضرورية للعمل على سد الثغرة المعلوماتية بالمجتمع العربي¹. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية تدعيم التعاون بين الدول النامية، عبر تبادل الخبرات والتجارب وإرساء أعمال مشتركة في مجال المعلومات والمعلوماتية يدعم التواصل الإقليمي في مجال مصادر المعرفة الرقمية، وتكريس سياسة التأهيل والتكوين المستمر (الحافظي، 2008).

1 استجابة لتوصيات القمة الثانية للمعلومات التي انعقدت في تونس سنة 2005، بضرورة العمل على ردم أو تضيق الفجوة المعرفية بين الدول والشعوب في مختلف المجالات العلمية والمعرفية والاقتصادية والاجتماعية، بوضع الأساس المفاهيمي لقضايا المعرفة ومجتمع المعرفة، مروراً بتقييم حال اكتساب المعرفة ووصف المعالم الأساسية لعملية الإصلاح المجتمعي، عبر الإهتمام بمدارسنا وجامعاتنا ومحاولة الخروج من التعليم النطقي التقليدي والاستفادة من النماذج المتقدمة، ومن بينها التعليم الإلكتروني أو الافتراضي، باعتباره اهم محرك لإحداث تغيير جذري وثورة حقيقية في التفكير ونمط الحياة، وكذلك لأنّ التعليم يعد بوابة مجتمع المعرفة وإحدى ركائزه الهامة.

في الحقيقة إنّ تفعيل مجتمع المعرفة العربي ليس بالأمر المستحيل، إذا فكرنا في إعادة بنائه على دعائم راسخة من التراث والثقافة، لتثبيت قواعده بما استحدثت من سبل المعرفة والاتصالات الرقمية، حتى يتسنى سد الفجوة بين المجتمع العربي المعاصر ومجتمع المعرفة (مجلس البحث العلمي، 2004)، علنا بذلك نقلل من الفجوة بين مجتمعاتنا العربيّة والمجتمعات الغربيّة، فتتجاوز صفة المستخدم إلى المنتج.

من هذه الزاوية، نقول أن الإلمام بالكليات اليقظة¹ (غزال، عادل، 2015)، من بين أهم ما تحتاج إليه المؤسسات المعلوماتية، وذلك لا يكون إلّا عبر تنمية مهارات الثقافة المعلوماتية، التي لا تتقاطع مع مهارات التربية الإعلامية، لارتكازها على استخدام المعلومات وعلى التكنولوجيات الحديثة بصفتها خيارا استراتيجيا وشرطا أساسيا للانخراط في مجتمع المعرفة.

3. الطريق الى المستقبل وسبل التحول من الاستهلاك الى الإنتاج:

يرى بعض الخبراء أن المكتبة الإلكترونية ستعزز الطلب على اخصائي المعلومات من أصحاب الخبرة، وهذا ما يجعلنا نفكر في إعادة النظر في وظائف مختص المعلومات وفي المؤهلات² التي يتصف بها. لكن يقف الأمر عند المختص العربي الذي مازال في مرحلة البناء والصراع من أجل محاولة ردم هوة معرفية فصلته عن المجتمعات المنتجة للمعرفة. ولهذا فإنّ حاجة أخصائي مكتبة المستقبل بالمجتمع العربي إلى التدريب وتجديد معلوماته ومهاراته أصبح ضروريا، ومن هنا تأتي أهمية الملتقيات بين المختصين، والتكوين المستمر الذي يعنى تطوير المعلومات في مجال التخصص.

1. وظيفة اليقظة مرتبطة عادة باليقظة التكنولوجية، أي متابعة التطور التقني المرتبط بنشاط المؤسسة، ويقدم لها الفرص، ويمكن أن تشمل وظيفة اليقظة: القانونية، التجارية، الاقتصادية، المالية، و الإستراتيجية.

2. من مؤهلات اليقظة ماهو مهني وما هو شخصي: تتعلق المؤهلات المهنية بمعرفة اختصاصي المعلومات بمصادر المعلومات وطرق الوصول إليها والتكنولوجيا والإدارة. أما المؤهلات الشخصية فتتمثل في مجموعة من الاتجاهات والقيم والمواقف التي تمكن الاختصاصين بالعمل بفعالية والمساهمة بإيجابية لمؤسساتهم والمستفيدين والمهنة ويمكن أجمالها في: البحث عن التحدي وتأمين الفرص الجديدة والمقدرة على الابتكار وتطوير والتقييم خاصة للتكنولوجيات الجديدة والعمل بنجاح مع الآخرين ضمن فريق عمل وخلق القدرة على إقامة جو الاحترام والثقة المتبادلة أثناء العمل والحث على معرفة القدرات الوظيفية، إضافة الى روح وحب التجديد والتغيير وتقبل النصائح والتوجيهات والنقد رواد المكتبة والمستفيدين والمرونة والايجابية في زمن التغيير المستمر والتأقلم بسرعة مع المتطلبات الجديدة، واكتساب الاستقلالية في التعلم وتكوين نفسه من خلال البحث الذاتي والمطالعة الحرة.

لذلك يجب العمل على الارتقاء بالرؤية المستقبلية للتعليم، وإعادة النظر في أساليب التعليمية التقليدية في كافة الأصعدة، اعتباراً أنّ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أصبحت وسيلة حياة ولا ترتبط فقط بإتقان التقنية، أو استخدام أجهزة حواسيب، وإنما أساساً في إنتاج المعلومات والقدرة على تخزينها، والحق بإدارتها (العودات، 2005).

لهذا يبدو أنّ إتباع أخصائي المعلومات العربي العمل بأساليب اليقظة، عبر متابعة دورات التكوين والتربصات، والاطلاع على المستجدات، أصبح ضرورة، إذ كلما كان مستوى التكوين أعلى أو أكثر تخصصاً كلما كانت الفائدة من اليقظة أوفر لتطوير منتجات وخدمات جديدة تتلاءم مع رغبات المستفيدين المتزايدة، والقدرة على اتخاذ القرارات الاستراتيجية من خلال البحث عن المعلومة المناسبة في الوقت المناسب للشخص المناسب، والقدرة على المنافسة لاستمرارية المؤسسة، من خلال التمكن من جمع وتعقب المعلومات الضرورية، والتعرف على البيئة المحيطة بمؤسسة المعلومات ورصد التغيرات التي تطرأ على قطاعاته مثل حاجات المستفيدين والمنافسين، والتحذير والتنبؤ بالعراقيل المستقبلية التي يمكن أن تواجه أخصائي المعلومات في المؤسسات المعلوماتية.

من أجل ذلك تطرح على طاولة البحث اليوم مسألة التفكير في بناء استراتيجية عربية يبعث مؤسسات تعليم متجاوبة مع متطلبات الثورة الإلكترونية، وتفعيلها بدعم التعليم الذاتي والتعليم المستمر وإعداد الهياكل المتخصصة، والنظر في مشاكل تدريس اللغة العربية بالنسبة للناشئة. وهذا يقتضي تطوير الفلسفة التعليمية من الأسلوب التلقيني الصرف إلى أسلوب يشجع على تنمية القدرات في حل المشاكل، إضافة إلى متابعة آخر المستجدات في مجال إدارة المعرفة وانعكاساتها على خدمات المكتبات ومراكز المعلومات، مع الإطلاع على التجارب العربية والأجنبية وتبادل الآراء والنظر في سبل التطور في إدارة المعرفة وجودة الخدمات في العصر الإلكتروني.

خاتمة

نخلص في نهاية العمل إلى التأكيد على حساسية دور أخصائي المعلومات في عصر المعرفة، وعصر النظم البارة في نقل المعلومات، حيث أنّ التطورات السريعة التي يشهدها العالم، قد فرضت نفسها عليه وأصبح نجاح المكتبة أو فشلها يتوقف على قدرته في تسييرها. ولذلك استوجب

متابعته وتطويره عبر عملية دمجها بالعالم الرقمي الذي اقتحم المكتبات ومراكز المعلومات، فضلا عن ضرورة رسم استراتيجية مسبقة لتحديد مقومات وقدرات العاملين في المكتبات لتسهيل عملية توظيف من لديهم إمكانيات في مجال تكنولوجيا المعلومات وتهيئة العاملين الحاليين.

كما نخلص الى أنَّ التحديات التي تواجه المجتمعات العربية، تتجاوز اليوم القدرة على إتقان مهارات التعامل اليدوي والتقني إلى مهارات التحليل والتفكير، الأمر الذي جعل من مفهوم الثقافة المعلوماتية والوعي المعلوماتي باعتبارهما من أهم المفاهيم المتداولة خلال السنوات الأخيرة، صفة يجب على أخصائي المعلومات اكتسابها، ولعلَّ هذا التطور ييشِّر بمستقبل جديد للدخول في حقبة تاريخية عربية جديدة علَّنا بذلك نعمل على سدَّ الثغرة المعلوماتية.

بيبلوغرافية

- 1- السنوي الخالدي، عمر (2016)، المكتبات في العصر الإسلامي: نشأتها ونماذج من تاريخها، [على الخط]، <http://www.alukah.net/culture/0/98108/#ixzz4VAaGgxEL>. 24. اطلع عليه في ماي 2018
- 2- جيسون، س. (2004)، الوعي المعلوماتي يتطور عالميا: دور المنتدى العالمي في الوعي المعلوماتي. دراسة معرفية، على الخط <http://www.ala.org/ala/aasl/aaslpubsandjournals/kqweb/kqarchives/vol32/324TOC2.cfm> 30 جوان 2018
- 3- حافظي، زهير، مزلاح، رشيد. (ديسمبر 2008)، " الفجوة المعلوماتية أسبابها وسبل تجاوزها"، *Cybrarians Journal*. العدد 17. [على الخط]، <http://www.journal.cybrarians>. اطلع عليه في 04 جانفي 2016.
- 4- حسي، مصطفى محدي وياقر النجار، (2008)، إخلاص. "قياس وتحليل الفجوة الرقمية الرقمية في الوطن العربي". العلوم الاقتصادية. مج 6. العدد 2. [على الخط]، <http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=51105>. اطلع عليه في 17 جوان 2018
- 5- خضر، مجد. (2016)، "مفهوم المعلوماتية"، موضوع. [على الخط]، <http://mawdoo3.com>. اطلع عليه في 02 جويلية 2018
- 6- سويلم، محمد نيهان. (2005)، "التكامل المعرفي وفجوة المعرفة". *الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات*. مج 12. عدد 23. صص 512-515
- 7- عزمي، هشام. (مارس 2006)، "ثقافة المعلومات في القرن الحادي والعشرين". *Cybrarians Journal*. العدد 8. [على الخط]، <http://www.journal.cybrarians.org> اطلع عليه في 02 جوان 2018
- 8- علي، نبيل وحجازي، نادية. (2005)، *الفجوة الرقمية: رؤية عربية لجمع المعرفة*، (عالم المعرفة)، الكويت.
- 9- العودات، حسين. (نوفمبر 2005)، "الفجوة الرقمية والمعلوماتية"، [على الخط]، <http://www.voltairenet.org/article131218.html>. اطلع عليه في 15 جوان 2018
- 10- غزال، عادل. (2015)، "دور أخصائي المعلومات في اليقظة".

<https://adelghezzal.wordpress.com> اطلع عليه في 02 ماي 2018

- 11- غنيم، محمد حسن، (2006)، اختصاصي المكتبة، «دشمو» المعرفة، [على الخط] <http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=7258> . اطلع عليه في 15 جوان 2018
- 12- مثناني، رضا. (2006)، مجتمع المعلومات والتنمية: إية علاقة، تونس، مركز النشر الجامعي.
- 13- مجلس البحث العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، (2004)، مجتمع المعرفة العربي ودوره في التنمية. (نحو مجتمع المعرفة). <http://www.kau.edu.sa> . اطلع عليه في 16 ماي 2018
- 14- محمد العمودي، هدى وفيصل السلمي، فوزية، (سبتمبر 2008) "الوعي المعلوماتي في المجتمع الأكاديمي، دراسة تطبيقية على طالبات الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز" في شذرات ملتقى المفكرين والباحثين العرب، العدد3، ص ص 161-224
- 15- ملاح، تامر، تطور المهنة المكتبية، (2010)، [على الخط] <http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=23348.2012> . اطلع عليه في 28 ماي 2018
- 16- Bindé, Jérôme, (2005), « Vers les sociétés du savoir ». *Rapport Mondial de l'UNESCO*, éditions UNESCO, [en ligne],
- 17- <http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001419/141907f.pdf>. Consulté le 01 Juin 2018
- 18- Zurkowski, Paul G., (Nov. 1974), "The Information Service Environment : Relationships and Priorities", *National Commission on Libraries and Information Science*, n° 5, [en ligne], <http://files.eric.ed.gov/fulltext/ED100391.pdf>. Consulté le 06 Juin 2018